موسوعة

حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات

المجلد الثاني

شبهات حول الإعجاز العلمي في الأرض وعلوم البحار

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة
INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

الشبهة الحادية والعشرون

دعوى أن القرآن تحدث عن الجبال على أنها ليست جزءًا من الأرض(*)

مضمون الشبهة:

يزعم الطاعنون أن القرآن الكريم قد أخطأ في حديثه عن الأرض والجبال؛ إذ تحدث عنهما على أنهما شيئان مختلفان، وكأن الجبال ليست جزءًا من الأرض، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ (الحاقة) ، **قائلين: إن هذا العطف يفيد أن القرآن لا يتحدث عن الأرض ككوكب، وإن معارفه بدائية لا تكاد تتجاوز حدود البيئة الصادر فيها.**

وجها إبطال الشبهة:

١) إن الأرض والجبال جزءان متكاملان، وفي عطف الله ﷻ الجبال على الأرض ـ مع كونها جزءًا منها ـ حكم بالغة، وتبرز هذه الحكم من نواح عدة؛ الناحية الأولى: أن للجبال دورًا غير منكور في تثبيت القشرة الأرضية، الناحية الثانية: أن الجبال أكبر أجزاء الأرض وأكثرها بروزًا، الناحية الثالثة: أن للجبال من الصفات والخصائص ما يجعلها مغايرة للأرض، الناحية الرابعة: أنه لما كانت الآية قد جاءت في معرض الحديث عن حمل الأرض ودكها، كان من المنطقي ـ والجبال مركز الثقل في الأرض ـ أن تخص الآية الجبال بالذكر مع الأرض.

٢) أثبت العلم الحديث بما اكتشفه من حقائق عدم سطحية القرآن الكريم في حديثه عن الأرض ككوكب كما توهم الطاعن، وبيان مدى تعمقه ونظرته الثاقبة، وهو المُنزَّل منذ ألف وأربعمائة عام؛ إذ أعطانا القرآن الكريم دلالات واضحة عن الأرض ككوكب، بل إنه قد فرق بين الكوكب والنجم في الوقت الذي

(*) منتدى الملحدين العرب.

الأرض

كان يُخلَط فيه بينهما.

التفصيل:

أولا. حكمة الله ﷻ في عطفه الجبال على الأرض:

لقد ذكر الله ﷻ الجبال في القرآن الكريم مع الأرض والسماء، وهذا مما يثير العقل ويدفعه للتساؤل: أليست الجبال جزءًا من الأرض؟ فَلِمَ - إذن - صرَّح بها وكان من المفترض أن يكتفي بذكر الأرض فقط؟!

لابد - إذن - أن يكون للجبال من الصفات والخصائص ما يجعلها تختلف عن الأرض التي هي جزء منها، ولنتأمل معًا آيات الذكر الحكيم، والتي غاير فيها رب العزة بين الجبال والأرض ومنها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ (الأحزاب: ٧٢) ، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ (المزمل: ١٤) ، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ (الحج: ١٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ (الحاقة).

فإننا لو تأملنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا أن لفظة الجبال قد وردت معطوفة على الأرض - مع كونها جزءًا منها - فلماذا تم عطف الخاص على العام؟! وهذا ما التبس على ذهن المشكك وجعله يتوهم خطأً أن حديث القرآن الكريم عن الجبال والأرض حديث بين شيئين مختلفين، وكان من الأفضل له قبل الإدلاء بدلوه في هذه النقطة أن يراجع قواعد اللغة؛ فبرجوعه إليها تتكشف له الأمور وترفع عن ذهنه الحُجب، ويتضح له أنَّ واو العطف في الآيات السابقة تقتضي المغايرة، فإنك لو قلت مثلًا:

(أعط زيدًا وعَمْرًا) تجد أن الواو في مكانها أفادت التشريك بين زيد وعمرو في الإعطاء، وهذا لا يعارض المغايرة، بل يثبتها، فإن التشريك بين شيئين يقتضي تغاير هذين الشيئين ابتداءً؛ فالمتعاطفان هنا قد تغايرا ذاتًا[1] واشتركا حكمًا؛ فقد تغاير زيد وعمرو فيما سيُعطَى لهما، واشتركا في حكم

١. الذات هنا بمعنى: الصفات والخصائص المكوِّنة لماهية الشيء أو الشخص.

الإعطاء. وكذلك عطف الجبال على الأرض؛ فقد اشتركا في الحكم، والحكم يختلف حسب وروده في الآيات ـ والأحكام الواردة في الآيات الكريمة السابقة هي: (الحمل ـ الرجف ـ السجود...) ـ ثم تغايرا في الذات؛ إذ اختلفت الجبال في وظيفتها المحددة لها عن الأرض، ويتجلى ذلك في سورة النبأ؛ إذ تعطينا الدليل على اختلاف كل من الأرض والجبال في خصائص وصفات كثيرة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ (النبأ).

فالأرض هي المهاد الذي نعيش فيه وتنتظم حياتنا به؛ فالله تعالى مهَّد الأرض وهيأها وجعلها صالحة للإعاشة، فهذه ـ إذن ـ وظيفة الأرض، فما هي وظيفة الجبال وما هي خصائصها؟

إن الجبال إحدى مظاهر الطبيعة الأكثر جمالًا وروعة ووجودها ضروري جدًّا لاستقرار الأرض والحياة على ظهرها:

فالجبال تعمل على تثبيت القشرة الأرضية؛ بسبب شكلها وأوتادها العميقة في الأرض؛ إذ "ثبت علميًّا في عام ١٩٥٦م أن الجبل له جذر يخترق طبقات الأرض ويمتد تحت سطح الأرض حتى يصل إلى طبقة الغطاء (السيما)، وهذا الجذر يعادل من ٥ إلى ١٠ أضعاف الجبل فوق سطح الأرض"[(١)].

كما أن الجبال تساهم في تشكُّل الغيوم ودفع الرياح؛ بسبب شكلها الانسيابي فتكون بذلك سببًا في هطول المطر؛ إذ إن قمم الجبال تكون مغطاة بالغيوم معظم أيام السنة، وذلك بسبب تصميم الجبال الذي يعمل كمصد للهواء ينزلق على سطحه ثم يساهم الشكل الانسيابي للجبل في تسريع تيارات الهواء المحمَّلة ببخار الماء[(٢)].

كما أثبت العلم الحديث أن الجبال تساهم في تصفية وتنقية المياه بسبب الطبقات المتعددة فيها[(٣)]، يقول ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ (المرسلات).

---

١. الموسوعة الكونية الكبرى: آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، د. ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٩، ص٧٤.

٢. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٢١١.

٣. الجبال ورسالات الأنبياء، د. أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص٧٢.

الأرض

كما أن الجبال تساهم في توازن الغطاء النباتي؛ بسبب شكلها المميز وما تختزنه من مياه[1]؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحجر).

ولولا الجبال لَما أمكن للطرق الممهدة أن تتشكَّل؛ لأن الذي يدرس تاريخ تشكل الأرض خلال مئات السنين يدرك أهمية اصطدام الألواح الأرضية في تشكُّل سلاسل من الهضاب أو الجبال، وفسْح المجال أمام المياه لتتدفق وتُشكِّل الأنهار، كما تفْسح المجال أيضًا لتتشكَّل الفجاج العريضة، والطرق الميسرة، والتي ساعدت البشر على سهولة التنقل لآلاف السنين[2]، يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(الأنبياء).

وبهذا تتضح حكمة الله ﷻ في عطفه الجبال على الأرض، مع كونها جزءًا منها؛ كي يبين فضلها ومكانتها؛ فلولاها لما استقرت على الأرض حياة، ولنعلم ما تضمنته من خصائص وصفات ميَّزتها عن الأرض.

ثانيًا. فساد دعوى سطحية القرآن الكريم في حديثه عن الأرض ككوكب:

إن ما توهَّمه الطاعن من سطحية القرآن الكريم زاعمًا أنه لم يتحدث عن الأرض ككوكب، وأن معارفه بها بدائية لا تتجاوز معارف أعرابي بدوي بالكواكب والنجوم ـ إنما هو محض افتراء، أثبت العلم الحديث عدم دقته.

فإننا لو تأملنا ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الأرض سنجد أنها قد وردت ٤٦١ مرة، وكان حديثه ﷻ عنها حديثًا بالمفهوم العام؛ فهي الكوكب الذي تنتظم عليه الحياة باختلاف أشكالها.

وإليكم بعض آيات الذكر الحكيم التي تحدثت عن الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠) ، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١) ، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية: ١٣)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ

١. "والجبال أرساها متاعًا لكم..."، مقال منشور بموقع: www.al3lom.com
٢. نشوء الجبال، عبد الدائم الكحيل، مقال منشور بموقع: www.kaheel7.com

﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ (البروج)، وقال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ (النساء: ٩٧).

ففي هذه الآيات القلائل نجد أن الله ﷻ لم يتحدث عن قطعة أو جزءٍ بعينه، وإنما قد تحدث عن الأرض بمفهومها الشامل، والذي يضم كل ما على تلك الأرض من جبال وأنهار وبحار، وأماكن تكاد تكون مجهولة لنا، وتلك من حِكَمِه ﷻ التي لا يدركها إلا العاقلون، وهذا ما أردنا إثباته - أولًا - ووضعه في الاعتبارِ؛ لكي يتضح خطأ ما ذهب إليه المشكك.

إذًا فملخص القول فيما سبق من آيات أنها تؤكد نتيجة مهمة، وهي أن حديث القرآن عن الأرض هو حديث بالمفهوم الشامل العام، ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم لم يكتف بذلك؛ فقد تعمَّق في حديثه عن الأرض ليعقل العاقلون؛ إذ ذكر ما يثير الذهن ويدفعه للبحث والتنقيب، فنجده ﷻ يقول: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ (النور: ٣٥).

فإن نحن تدبَّرنا هذه الآية الكريمة لوجدنا أن الله ﷻ يجري لنا ما يطلقون عليه اسم "التجربة الحية"، وكأنما يطلب منا أن ننظر ونتأمل تلك الآية كي نظفر بنتيجة مهمة وهي الفرق بين الكوكب والنجم؛ فإذا ما قمنا بهذه التجربة بصورة عملية نجدها كالآتي:

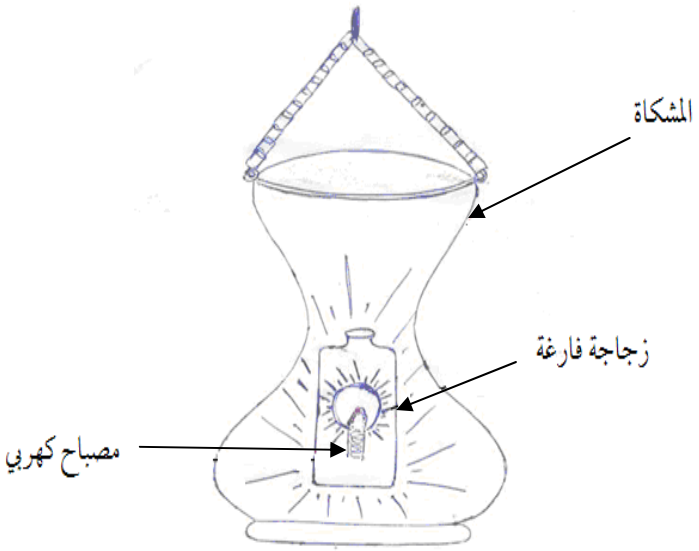

شكل توضيحي

أدوات التجربة:

١. المصباح الكهربي ٢. زجاجة فارغة ٣. المشكاة

المطلوب:

من خلال تلك الأدوات قم بعمل الشكل السابق.

وصف التجربة:

إن الله ﷻ وصف الزجاجة في الآية الكريمة بالكوكب الدرّيّ، أي أن الكوكب الدري كالزجاجة فوق المصباح، ومن هنا يتضح الآتي:

الزجاجة الفارغة مكونة من مادة لا تضيء بالطبيعة؛ فالضوء له مصدر في الكون، والزجاج ليس بمصدر ضوء، لكن إذا وضعنا الزجاجة حول أو فوق المصباح، فإن الزجاجة ـ عندئذٍ ـ تقوِّي وتعكس الضوء من داخل المصباح، وتجعله نورًا يستنار به.

وبما أن المولى ﷻ شبَّه لنا الزجاجة فوق المصباح بكوكب دُرِّيّ، فلا جدال ـ إذن ـ في أن الكوكب كالزجاجة فوق المصباح، وكما أن الزجاجة لا تضيء، فإن الكوكب كذلك لا يضيء، وكما أن الزجاج ليس فيه مصدر ضوء، فإن الكوكب كذلك ليس فيه مصدر ضوء، وكما أن الزجاجة تعكس ضوءًا من مصدر

آخر (وهو المصباح في الآية الكريمة)، فإن الكوكب كذلك يعكس ضوءًا من مصدر آخر.

فالكواكب إذن ليس لها ضوءٌ ذاتيٌّ، بل تقتبس نورها من مصدر ضوء آخر، كما تقتبس الزجاجة النور من المصباح، فإن عرفنا من القرآن الكريم ما هو المصباح، عرفنا ـ عندئذٍ ـ مصدر نور الكوكب.

ولكن قبل أن نبين ما هو المصباح في القرآن الكريم، يجب أن نوضح أن مصدر الضوء ليس المصباح نفسه؛ بل عملية حرق الزيت داخل المصباح، فمن خلال هذه التجربة يتضح أن هناك إشارة أخرى إلى عملية تكوين الكواكب؛ فالزجاج كما نعلم يتكون من مواد مختلفة، ولكن الرمل هو الأساس، أو له النسبة الكبرى في هذه المواد، ويتم صنع الزجاج أو تكوينه بتسخين الرمل مع مواد أخرى، وتلك إشارة إلى تكوين الكواكب؛ فالكواكب تتكون من نسبة كبيرة من الرمل مع مواد أخرى تم تسخينها[١]، وهذا ما أثبته علم الجيولوجيا[٢] بعد جهد وعناء طويل.

نعود لنعرف ماهية المصباح في القرآن الكريم؛ كي ندرك مصدر نور الكواكب، ولنتأمل معًا قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ (المرسلات)، أي: مُحِيَ أثرها من الضوء، قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: النجوم طمست، أي: ذهب ضوؤها[٣]، ومن هنا يتضح انفراد النجوم بخصيصة معينة، وهي أنها ذاتية الضوء على عكس الكواكب.

ونجده ﷻ يقول: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾ (الصافات)، فإذا ما تدبرنا هذه الآية نجد أنها تؤكد التمييز بين الكواكب والنجوم؛ إذ تؤكد أن المصابيح هي النجوم، وليست الكواكب؛ فالآية الكريمة لا تذكر أن المولى ﷻ زيَّن السماء بزينة الكواكب، أي أن السماء زُيِّنت، وهذه الزينة هي الكواكب المُزَيَّنة بالضوء المأخوذ ـ في الأصل ـ من النجوم؛ ليتضح أن نور الكواكب هو زينة وليس حقيقيًّا، وأن هذه الزينة لها مصدر آخر، وتأملوا هذا المثال: عندنا قرية مزينة بالأشجار وبعض الزخارف والأضواء، فإنها تصبح جميلة، ولكن جمالها المذكور نتيجة الأضواء ليس طبيعيًّا؛ فهو زينة وضعت عليها[٤]، وبذلك

١. ما هو الكوكب وما هو النجم؟، مقال منشور بالمنتدى الإسلامي www.bdr130.net
٢. علم الجيولوجيا: هو العلم الذي يبحث في طبقات الأرض، ويهتم ببيان خصائصها وأحوالها.
٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٤، ص٤٥٩.
٤. ما هو الكوكب وما هو النجم؟ مقال منشور بالمنتدى الإسلامي www.bdr130.net

يتضح ـ بما لا يدع مجالًا للشك ـ أن الكواكب تستمد نورها من النجوم.

وإننا نعتقد ـ كما يعتقد القارئ المنصف ـ أن القرآن في إشارته لهذه الحقائق منذ ألف وأربعمائة عام، لا يمكن أن يُتَّهم بالسطحية، وأن معارفه لا تكاد تتجاوز حدود بيئته البدائية، وإذا ما نظرنا إلى تعريف القدماء ـ مثلًا ـ للكوكب والنجم، نجدهم يقولون: إن الكوكب هو النجم والنجم هو الكوكب، بينما نجد تفرقة القرآن بين الكوكب والنجم تتطابق تمام المطابقة مع التفسير العلمي الحديث لهما؛ إذ عرَّف العلم الحديث الكوكب بأنه: الجرم السماوي المنطفئ الذي لا نور فيه، فهو يعكس نور الشمس، ثم يبيِّن أن النجم جرم سماوي ذاتيّ الإضاءة.

أفبعد هذا كله يرمون القرآن بالسطحية، وهو الذي تحدث عن تفاصيل ودقائق لم يُكشَف عنها إلا حديثًا؟!

www.eajaz.org

MUSLIM WORLD LEAGUE رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH

إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية الاعتبارية المستقلة؛ تسعى لإظهار أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعمل على نشرها. أنشئت بقرار من المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السادسة لعام ١٤٠٤ هـ، لتوفر وسيلة معاصرة للدعوة الإسلامية تقدم بها البرهان الساطع والحجة البالغة على صدق الرسالة المحمدية من خلال العلم؛ هذا الشاهد العدل الذي ارتضاه عالمنا المعاصر حكماً ومرجعاً.

الـرؤيـة

هيئة عالمية رائدة . . لمعجزة نبوية خالدة.

الـرسـالة

تحقيق أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وإظهارها للناس كافة.

الاستراتيجية

- مرجعية شرعية وعلمية لعلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- نشر وإبراز أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- تنمية الموارد المالية و تنويع مصادرها.
- استخدام التقنيات الحديثة وتطويرها لخدمة برامج وأهداف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

رقم حساب الهيئة بالبنك الأهلي التجاري

SA751 0000000 155055 000109

www.eajaz.org e-mail: info@eajaz.org